بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(٩) قبَسٌ من دستور الأخلاقِ النَّبوية (١)

بقلم الدكتور/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

إذا أردْنا أن نتحدَّث عن دستور الأخلاق الذي أرساه رسولُ الإنسانية (ﷺ) ، فإنه لا يَسعُنا الزمانُ ولا المكان، بل إنَّ ذلك يحتاج عملًا موسوعيًّا كبيرًا، بيدَ أننا سنَقتبَس قبساتٍ من هذا الدستور العظيم.

فهيّا بنا عزيزي القارئ الكريم لنقتربَ في سكينةٍ وخشوعٍ من دستور الأخلاق الذي جاء به نبيُّنا الكريم، فهو –بلا ريب– السبيلُ الأمثل لصلاحِنا وإصلاحِنا وأدائنا الحضاري المتميّز الذي يحققُ ازدهارَنا وتقدمَنا.

لقد علَّمَنَا النبيُّ (ﷺ) فعلَ كلِّ نُبل وكلِّ خير، ونَهانا عنِ اقتراف كلِّ شَر، ومن ذلك:

- علَّمَنَا النبيُّ الكريمُ الإيمانَ بالله الواحدِ الأحد، الفردِ الصمد، الذي لم يلدْ ولم يولَد ولم يكن له كفوًا أحد، والإيمانَ بملائكته، وكتبِه، ورُسله، واليوم الآخر، والقدر خيرِه وشرِّه.
- علَّمَنَا الإحسانَ؛ وهو أن نعبدَ الله كأنَّنا نراه، فإن لم نكن نراه فهو (سبحانه وتعالى) يَرانا على الدوام.
- علَّمَنَا الإخلاصَ لله ومُراقبته في السرِّ والعَلَن، وأنَّ الله لا يَقبل من العمل إلا ما كان خالصًا له وحدَه، ومن ثمَّ ترى المؤمنَ يُحسن عملَه، وينبعثُ إلى العطاء بدوافعَ ذاتية، غايتُها استرضاءُ الله جلَّ وعلا، حتى وإن لم يلقَ تقديرًا من الناس.
- علَّمَنَا النبيُّ (ﷺ)، أنْ نحترم أقدارَ الله (عزَّ وجلَّ) في الخلق والكون والحياة.
- علَّمَنَا نبيُّنا العظيم أنَّ قدرَ الله لا يَحكم الله، ولكنَّ اللهَ يحكمُ قدرَه، وأن نأخذَ بالأسباب، ونتوكَّلَ على الله، وأنَّ نفسًا لن تموتَ حتى تَستكملَ رزقَها وأجَلَها، وأنَّ الله تعالى تكفَّل بأرزاقِ كلِّ مخلوقٍ من مخلوقاته التي نعلمُها والتي لا نَعلمها؛ التي نَراها وتلك التي لا نَراها، قال تعالى: (وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) (هود: ٦).
- علَّمَنَا رسولُنا العظيم المراقبةَ الذّاتية، وأخبرنا أنَّ معنا طوالَ حياتنا مَلَكيْن يُلازماننا في: صَحونا ونَومنا، في سَيرنا ووَقْفنا، في فَرحنا وحُزننا، في كلِّ شيء.. في تَصرُّفاتنا كلها.. بدقَّة مُتناهية وبصدقٍ كامل؛ لأنهما مُكلَّفان من الله تعالى، وشهادتهما مُعتمَدة، ولا يمكن مُغافلتُهما أو التحايلُ عليهما، (مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) (ق: ١٨)، وهناك لا مَحالة يومٌ للحساب والجزاء.
- علَّمَنَا النبيُّ الكريم أنَّ القرآنَ الكريم هو كلامُ الله الخالد، ينيرُ القلب، والعَقل، والنَّفس، ويُنير البصرَ والبَصيرة والضَّمير، ويجعل صاحبَه في مَعيَّة الجنابِ الأعلى جلَّ وعلا، يَرضى بقضائه، ويَصبر على بَلائه، ويَشكره على نَعمائه، ويَقنع بعطائه.. يؤمنُ بالغيب كما يؤمنُ بالشهادة... فيعيشُ هادئَ النَّفس، مُستريحَ البال.. بعيدًا عنِ الاضطرابات "الفسيولوجية" الداخلية، والصِّراعات النفسية، والفَراغات الروحية.

---

(١) راجع ذلك مفصلا: د/ أحمد علي سليمان: كيف نتوضأ بأخلاق النبوة؟، القاهرة، دار إشراقة، ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م، ص ٥٥-٦٦

- علَّمَنَا نبيُّنا الكريم السياحةَ الدائمةَ في كتابِ الله المنْظور: (الكون البديع)، والسِّباحةَ المستمرَّةَ في أعماق بحار كتابِه المسطور: (القرآن الكريم)، لنظلَّ على الدَّوام في معيَّة الله العظيم.
- علَّمَنَا النبيُّ (ﷺ) أنَّ أصلَنا واحد، ودَورَنا مُشترك، فنحن جميعًا من نَفْسٍ واحدة، إنَّنا جميعًا لآدم، وآدمُ من تراب، وهذه رسالةٌ من الله تعالى تُذكِّرنا دومًا بأخوَّتنا ورحِمنا المشتركِ على الدوام، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (النساء:١)، وأنَّ دورَنا مشتركٌ في إعمار الكون والحياة، قال تعالى: (...وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) (البقرة: ٢٥١).
- علَّمَنَا أنَّ "مجتمع الإيمان هو المجتمعُ القوي، الآمن، المبْدع، المنتِج، الذي تسودُه الأخلاقُ والقيمُ الدافعةُ للتقدم، والسلامُ الاجتماعي، ويموجُ بالحياة والحركة والعملِ والإبداعِ والإنتاج.. وتختلطُ فيه صيحاتُ المآذن بضَجيج المصانع والآلات، وليس هو المجتمع الخامل الساكن الضعيفَ أو المأزوم المهزوم، الذي يعيش عالةً على الآخرين في غذائه وكسائه ودوائه"(٢).
- علَّمَنَا نبيُّنا الحكيم صوْنَ النفس الإنسانية، وأنها أقدسُ من الكعبة المشرَّفة، ومن الأشْهُر الحرم، فقال النبيُّ (ﷺ) بمِنًى: (أَتَدْرُونَ أيُّ يَومٍ هذا قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: فإنَّ هذا يَوْمٌ حَرَامٌ، أفَتَدْرُونَ أيُّ بَلَدٍ هذا قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: بَلَدٌ حَرَامٌ، أتَدْرُونَ أيُّ شَهْرٍ هذا قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: شَهْرٌ حَرَامٌ قالَ: فإنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عليْكُم دِمَاءَكُمْ، وأَمْوَالَكُمْ، وأَعْرَاضَكُمْ، كَحُرْمَةِ يَومِكُمْ هذا، في شَهْرِكُمْ هذا، في بَلَدِكُمْ هذا)(٣).
- علَّمَنَا النبيُّ الحكيم صوْنَ العقل الذي ميَّز اللهُ تعالى به الإنسانَ عن سائر المخلوقات؛ فبه يميز بين الخير والشر، والهدى والضلال... ومن رحماتِ الله تعالى بالإنسان أنه منحَه هذا الجهازَ المعجِز لاستقبال أنوار الوحي الشَّريف المعصوم، وجعل التفكرَ فريضةً إسلامية، وحرَّم على الإنسان أن يَعتدي على العقل أو تَعطيله عن عمله، وشرَّفه غايةَ التَّشريف بأن جعلَه مناطَ التكليف، ومن ثم علَّمَنَا السباحةَ الفكريةَ بالعقل في ملكوتِ الله شمالًا وجنوبًا شرقًا وغربًا.. طولًا وعرضًا وعمقًا، وبشكل دائبٍ لا يَنقطع؛ للارتقاءِ به في مَراتب التفكير العليا وتَعميق الإيمان، حتى يظلَّ في كنفِ أنوار الله، بعيدًا عن الشَّطط أو الغلوّ أو الانحراف.. ومن رحماته -أيضًا- أنه جعلَ لهذا العقل طاقاتٍ ولم يحمّله ما لا طاقةَ له به، وجعلَ له حدودًا يقف عندَها ولا يستطيع أن يَتجاوزَها؛ كالغيبيات التي ليس للعقل فيها إدراكٌ على التفصيل، ولا شكَّ أنَّ في هذا صيانةً للعقل البَشري من الانحراف والزَّيغ والفُرقة والخلاف؛ لذلك كان نكيرُ الشارع الحكيم لكلِّ المسْكرات والمخدّرات والمفتِّرات التي تنالُ من العقل أو تُعطله عن أداء رسالته.
- علَّمَنَا رسولُنا الرحيم الأخوَّةَ الإنسانية، وأننا جميعًا من نفسٍ واحدة، ومن ثمَّ نحن إخوة، ويجب أن تكون هذه الحقيقةُ ماثلةً أمامنا على الدوام.

---

(٢) انظر: كتاب الدعوة الاسلامية في القرن الحالي لفضيلة الشيخ/ محمد الغزالي. راجع: د/ أحمد علي سليمان: بناء الداعية الموسوعي "علميًّا وتربويًّا وثقافيًّا ومهاريًّا"، بحث مقدم للمؤتمر التاسع والعشرين للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الذي عُقد بالقاهرة تحت عنوان: (بناء الشخصية الوطنية وأثره في تقدم الدول والحفاظ على هويتها)، خلال الفترة من ١٩ – ٢٠ يناير ٢٠١٩م، ص ٧.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

- علَّمَنَا الشّورى لكي نَتكاملَ في بناء الإنسان وإعمارِ الكون وإسعادِ الحياة؛ بأفكارنا جميعًا، وبإبداعنا جميعًا، وبعطائنا جميعًا، دون حَجرٍ على أحد، ودونَ إقصاءِ أحدٍ لأحد، ودونَ تَسفيهٍ لفكرِ أحد؛ فكلُّنا شركاءُ في المسؤولية، وفي بناءِ المجتمع، وإعمارِ الكون والحياة، وإسعادها.
- علَّمَنَا النبيُّ الكريم أهميةَ العلمِ وتحصيله والبَراعة فيه، والتعلُّم المستمر بحيث يكون المسلمُ متطورًا ومواكبًا للزمن، ومن ثمَّ فقَّهَنا أنَّ "الأمم تتقدم أو تتأخَّر بمقدار أنصبَتِها من العلم، وقُدرتها على تَحويله إلى حضارةٍ مُثمرة.. وأن العقلَ الصَّحيح هو الذي يقرأ آياتِ الله في الكون كما يقرؤها في المصحف"(٤).
- علَّمَنَا رسولُنا الحكيم حفظَ الأعراض وعدمَ سُخرية الإنسان من أخيه، وعدمَ التَّنابز بالألقاب، واجتنابَ الظنِّ السيِّئ، والابتعادَ عن التَّجسس، والتلصُّص، والغَيبة، والنَّميمة... وغيرها من الآفاتِ الهدّامة للبناء الاجتماعي، والمؤجِّجَة للصراع في جَنبات المجتمع.
- علَّمَنَا أنَّ الغشَّ والتدليسَ والخداعَ حرام، وأنَّ الإسلام لا يرضى أبدًا لمجتمعاتِه أنْ يَتغالبَ فيها الناسُ بالمكر والخديعةِ والفتنِ والنَّوايا الخبيثة؛ بل يريد مجتمعًا تَسْري في أوصالِه شَرايين الأخوَّة، ودماءُ الصدق والنُّبل والعفاف، وتَحرّي الحلال والإخلاص لله.

علَّمَنَا الرسولُ العظيم أهميةَ العمل، ومحاربةَ الكسل والدَّعَة والتواكل، والدَّفع بأتباعه قُدُمًا نحو العمل، وعدمَ التوقُّف عنه مهْما كانتِ الظروف والأحوال. يقول (ﷺ) : (إنْ قامَتِ السَّاعةُ وبيَدِ أحَدِكُم فَسيلةٌ، فإنِ استَطاعَ ألَّا يقومَ حتى يَغرِسَها فلْيَفْعَلْ)(٥)، وفي رواية: (إنْ قامَتِ السَّاعةُ وفي يدِ أحدِكُم فَسيلةٌ فإنِ استَطاعَ أن لا تَقومَ حتَّى يغرِسَها فلْيغرِسْها)(٦).

- علَّمَنَا المصطفى عليه السلامُ جودةَ العمل وإتقانَه، والبراعةَ فيه، والإبداعَ فيه؛ يقول (ﷺ) : (إنَّ اللهَ تعالى يحبُّ إذا عملَ أحدُكمْ عملًا أنْ يتقنَهُ)(٧) وأنَّ مَن يُتقن عملَه ويجوّده ويُحسِّنه سيَكونُ من المحبوبين عندَ الله (عزَّ وجلَّ) بدلالةِ مَنطوق الحديث الشريف(٨)، وأنَّ السبيلَ الأمثل لتقدُّمنا وازْدِهارنا وعلوِّ كَعْبنا ومِن ثمَّ حجز المكانة اللائقة بنا بين الأمم؛ يَكمنُ في أدائنا الحضاريِّ المتميز، ولن يحدثَ ذلك إلاَ بتمثُّل دستور الأخلاق النَّبوية وأن نعيشَه، ونعايشه، ويعيشَ فينا.
- علَّمَنَا رسولُنا الكريم أهميةَ الذكر ودَيْمومة الشكر، فبالذِّكر يَذكرك الله، وبالشُّكر تدومُ النِّعم.. (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) (البقرة: ١٥٢).
- علَّمَنَا (ﷺ) الدعاءَ، وأنْ نتعلَّق بحبالِ الله تعالى؛ ذلك لأنه لا يقدرُ على جَلب النَّفع إلا الله، ولا يَقدرُ على الضرِّ إلا الله، ولا يقدرُ على دَفع الضرِّ إلا الله.
- علَّمَنَا (عليه الصلاة والسلام) انتقاءَ الكلماتِ الطيبة المريحَة للقلب والنَّفس عند الحديثِ مع الآخرين.

---

(٤) الشيخ محمد الغزالي: مائة سؤال عن الإسلام، ج ٣، هدية مجلة الأزهر، عدد ربيع الأول ١٤٣٩ = نوفمبر/ ديسمبر ٢٠١٧ م، ص ١٠

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده

(٦) أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد.

(٧) أخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير

(٨) راجع دراستنا: نحو إحياء قيمة العمل، منشور في العدد ١١٦٧ من صحيفة (الدعوة الإسلامية)، ليبيا، ١٣ مايو ٢٠٠٩م، ص ١٠

- علَّمَنَا أن يكون المسلمُ هاشًّا باشًّا بسَّامًا بشوشَ الوَجه قدوةً حَسنة، مُهندمًا، نظيفًا، جَميلًا على الدوام.
- علَّمَنَا رسولُنا العظيم الإحسانَ إلى الطفلِ الصَّغير، فهو هديةُ الله، وهو أمانَة، وأنه عَجينةٌ غالية جدًّا، ومن ثمَّ يجب أن نُشكِّلها على أفضلِ ما يكون.
- علَّمَنَا النبيُّ (ﷺ) الإتقانَ والإحسانَ في كلِّ شيء، ومع كلِّ الناسِ والمخلوقات، وفي كلِّ حال، وأن يكون المسلمُ مُحسنًا حتى وإن لم يلقَ إحسانًا من الناس.. أن يكون مُحسنًا ليس لأجلهم؛ بل لأنَّ الله تعالى يحبُّ المحسنين.
- علَّمَنَا (ﷺ) الصدقَ والبُعد عن الكذب، فقال: (عليكم بالصِّدقِ. فإنَّ الصِّدقَ يهدي إلى البرِّ. وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنَّةِ. وما يزالُ الرَّجلُ يصدُقُ ويتحرَّى الصِّدقَ حتَّى يُكتبَ عند اللهِ صِدِّيقًا. وإيَّاكم والكذِبَ. فإنَّ الكذِبَ يهدي إلى الفجورِ. وإنَّ الفجورَ يهدي إلى النَّارِ. وما يزالُ الرَّجلُ يكذِبُ ويتحرَّى الكذِبَ حتَّى يُكتبَ عند اللهِ كذَّابًا)[٩].
- علَّمَنَا نبيُّنا العظيم ضبطَ اللِّسان؛ فقال (ﷺ) : (مَن كان يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فلْيقُلْ خيرًا أو لِيصمُتْ)[١٠]، وأنْ نحفظَ ألسنتَنا، ولا نلوِّثَها أبدًا بالكلمات النّابيَة أو الخارجة أو بالساقطِ من الكلام، أو التَّجرئ على خَلق الله، يقول أنسُ بنُ مالك (رضي الله عنه): "خدمتُ رسولَ اللهِ (صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ) عشرَ سنينَ، فما قال لي أُفٍّ قطُّ، وما قال لي لشيءٍ صنعتُه: لِمَ صنعتَه، ولا لشيءٍ تركتُه: لِمَ تركتَه، وكان رسولُ اللهِ من أحسنِ الناسِ خُلُقًا..."[١١] تخيَّل أخي القارئ الكريم عشرَ سنينٍ لم يَصدُر فيها– ولا في غيرها– كلمة أفٍّ –ولا غيرها– وهي أقلُّ كلماتِ الضَّجر، ولا غَرْو في ذلك فهو الصادقُ المعْصوم.
- علَّمَنَا (ﷺ) أهميةَ التَّقوى وحُسنَ الخلق. وسُئِلَ عن أكثرِ ما يُدخِلُ الناسَ الجنةَ؟ فقال: (تقوى اللهِ وحسنُ الخُلقِ). وسُئِل عن أكثرِ ما يُدخِلُ الناسَ النارَ؟ فقال: (الفمُ والفرجُ)[١٢].
- علَّمَنَا الحفاظَ على حقوق الجار، يقول (ﷺ) : (مَن كان يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فلْيُكرِمْ جارَه..)[١٣]. وحفَّزَ النفوسَ على ذلك، وجعلَه مَطلبًا إيمانيًّا عظيمًا، مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بالإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، وهمَا من أركانِ الإيمان، وهي أعمالٌ قلبية، لا يطَّلع عليها إلا اللهُ العليم، وكأنَّ إكرامَ الجار يجب أن يكون حِسيًّا ومعنويًّا.
- علَّمَنَا النبيُّ (عليه الصلاة والسلام) أنَّ الحبَّ ركنٌ في الإيمان، ودليلٌ على صدقه.
- علَّمَنَا النبيُّ الكريم أنَّ تقدُّمَ المجتمع يتوقَّف على الأداء الحضاريّ المتميز لمجموع المواطنين.
- علَّمَنَا (ﷺ) أنَّ الدنيا ستَفنى، وأنَّنا سنموت، وأنَّ الأعمالَ بخواتيمِها، وأنه يجب أن نُحاسبَ أنفسَنا أولًا بأوَّل قبل أن نُحاسب في الآخرة، وأنَّ الدنيا ساعةٌ فيجبُ أن نجعلَها طاعةً خالصةً لله؛ حتى نفوزَ برضاه.

---

(٩) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(١٠) أخرجه ابن حبان.

(١١) مختصر الشمائل.

(١٢) الترغيب والترهيب.

(١٣) أخرجه ابن حبان.

- علَّمَنَا الرسولُ الكريم الموازنةَ بين الحقوق والواجبات، بين المصلحةِ الفردية والمصلحةِ الجماعية، "وربط الحقوق بالواجبات، وذلك كلُّه ضمنَ مَنظومة عقديةٍ وأخلاقية تشملُ الجميع، وتَحميها الدولة، وتسنُّ لها التشريعاتِ اللازمةَ لضمانِ تطبيقها بما يدرأ المفاسدَ ويَجلب المصالح"(١٤)؛ لتظلَّ عمارة الأرض والكون والحياة، وتحقيقُ الاستخلاف في الأرض، والأداءُ الحضاري المتميز، وترقيةُ المجتمع، وتحقيقُ جودة الحياة، ورعايةُ الإنسان (الأسرة والأقارب والفقراء وأصحاب العَوَز والمحتاجين...إلخ)؛ جزءً لا يتجزَّأ من رسالة المسلم في هذه الحياة.
- علَّمَنَا النبيُّ (ﷺ) كظمَ الغَيظ، ومجاهَدةَ النَّفس وضبطَها؛ فهي أشَدُّ من مجاهدةِ العَدُوّ، والبعدَ عن الغضب، فعن أبي هُريرةَ (رضيَ اللهُ عَنْه): أنَّ النَّبيَّ (ﷺ) قالَ: (ليسَ الشَّديدُ بالصُّرَعَةِ، إنَّما الشَّديدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ)(١٥) فلا تظنُّوا أنَّ الرَّجل القويَّ هو مَن يَتمتَّعُ بقوَّة بَدنية يَستطيعُ بها أنْ يَصرَعَ الآخَرين؛ ولكنه القويُّ في إرادته، المتحكمُ في نفْسِه عندَ الغَضب، الحليمُ الكاظم غَيْظَه، المانعُ نفْسَه عن إيذاءِ النَّاس. وبذلك فإنَّ مُقاومةَ الغضبِ وامتلاكَ النَّفسِ عند وُقوعِه مِن أفضلِ الأعمالِ الصَّالحةِ الَّتي يُثابُ عليها الإنسان.
- علَّمَنَا النبيُّ الكريمُ المسؤوليةَ الاجتماعية، والإيجابية، وترسيخَها في نفس النَّشْء منذ الصغر، بحيث يكون مَسئولًا وإيجابيًّا في كُلِّ أحْوالِه، ونافِعًا لنَفْسِهِ، ولغَيْرِه ولوطنه.
- علَّمَنَا النبيُّ (ﷺ) أنَّ العباداتِ في الإسلام ليست شعائرَ تؤَدَّى فقط؛ ولكنها موجِّهاتٌ للإنسان إلى طريق الله.. إلى طريق الإيمان.. إلى طريق مُراقبة الله.. إلى طريق حبِّ الخير للناس؛ موجِّهاتٌ للإنسان إلى طريقِ الجنة التي أعدَّها الله للمتقين. فالصلاةُ معراجُ المسلم لربِّه، ومن ثمَّ يجب أن تكون موجَّهةً لنا نحوَ الإصلاح والصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة، وأنَّه رُبَّ قائم ليسَ له من صلاته إلا القيامُ والقعود!، وأنَّ مَن لم تنْهَه صلاتُه عنِ الفحشاء والمنكر فليسَ له صلاة. وأنَّ الصيام يجب أن نعيشَه ونُعايشَه ويعيشَ فينا، في سلوكنا وقلوبنا ووِجْداننا وفي كلِّ جوارحنا على الدَّوام؛ ليشعرَ الغنيُّ بآلامِ الفقير ويدفعَه إلى العطاء والسَّخاء، ومن ثمَّ يُكسب الشخصَ أخلاقًا نَبيلة، ويربّي الضميرَ في نفسِه ويوقظه ليظلَّ حيًّا يقظًا في كَينونته، ويحقّق لديه خَصيصةَ المراقبة والإحسان ويُنمّيها على الدوام، وإلا فَرُبَّ صائمٍ ليس له من صيامِه إلا الجوعُ والعطش، وما يُقال عنِ الصلاة والصيامِ يُقال عن سائرِ العبادات.
- علَّمَنَا النبيُّ (ﷺ) ، أن نبتعدَ عنِ الغشِّ بشتى صوره وأشكالِه، وأنَّ مَن غشَّ فليسَ منّا، ولقد مرَّ (ﷺ) في الأسواق ذاتَ يومٍ فوجدَ رجلًا يضَعُ الطعامَ الجيد في أعلى الوعاءِ ليَظهر للناس، ويَضعُ الرَّديء في أسفلِه ليُخفيَه عنهم، فقال (ﷺ) له: (مَن غشَّ فليسَ مِنَّا)(١٦).
- علَّمَنَا النبيُّ الكريم مكانةَ طالب العلم والعلماء، فقال: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ

(١٤) د/ زينب عبد السلام أبو الفضل: موسوعة عناية القرآن بحقوق الإنسان.. دراسة موضوعية وفقهية، الجزء الثاني، القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٨م، ص ٣١ – ٦٥ بتصرف.

(١٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(١٦) أخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير – صحيح.

عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ)(١٧).

- علَّمَنَا النبيُّ (عليه الصلاة والسلام) حُسْنَ التَّودُّد، والْمُزاورة، وَالْمُواصَلة، وَالْمُكارَمَة، وإنزالَ الناس منازلهم، واحترامَ كبار القوم، والشّيوخ والمسنّين، وشتى القوى المكوّنة للمجتمع، وإكرامَهم، ولنا أن نتأمَّل في قول النبي (ﷺ) : (مَن دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهو آمِنٌ...)(١٨). لقد تفرَّد في كيفية معاملة النُّفوس البشرية، وكيف كانت السماحةُ والرفقُ والعفو النبويُّ بدلًا من الإذلالِ والانتقام. فتأثرَ أبو سفيان (رضيَ اللهُ عَنْه) بهذا الموقف العظيم، ولم يملكْ إلا أنْ قال: "بأبي أنتَ وأمّي يا محمد، ما أحلمَك وأكرمَك وأوصلَك"!. وكان هذا الموقفُ النبويُّ الكريم دعمًا نفسيًّا ومعنويًّا وتَثبيتًا له على الإسلام وتقويةً لإيمانه، وتطمينًا له بأنَّ مكانتَه عند قريش وغيرها. وهذا منهجٌ نبويٌّ كريم، يجبُ على السادة الدُّعاة والمربّين وعمومِ الناس؛ أن يَستوعبوه جيدًا، ويعملوا به في تعامُلهم مع الناس(١٩).
- علَّمَنَا النبيُّ الرحيم التَّيسيرَ على الناس وسَترَهم، فعنْ أبي هريرة (رضيَ اللهُ عَنْه) قال: قال رسولُ الله (ﷺ) : (مَن نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يومِ القِيَامَةِ، وَمَن يَسَّرَ علَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عليه فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَن سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ)(٢٠).
- علَّمَنَا النبيُّ (ﷺ) السَّعيَ على الأرملة والمسكين،- والأرملةُ هي التي ماتَ عنها زوجُها، وسُمِّيَت بذلك لِما يحصُلُ لها من الإرمالِ؛ وهو الفَقرُ وذَهابُ الزّادِ بفَقدِ الزَّوجِ. والمسكينُ هو الَّذي ليس له مِنَ المالِ ما يَسُدُّ حاجتَه-، وأنَّ الساعيَ عليهما- وهو الَّذي يقومُ بمصالحِهما ومُؤنَتِهما وما يَلزمُهما- له مِثلُ أجر المجاهد في سبيل الله لإعلاءِ كلمته، أو مثلُ أجرِ الذي يقوم ليلَه بالصلاة والذِّكر والدُّعاء الصَّائم بالنَّهار، يقول النبي (ﷺ) : (السَّاعِي علَى الأرْمَلَةِ والمِسْكِينِ، كالْمُجاهِدِ في سَبيلِ اللَّهِ، أوِ القائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهارَ)(٢١).
- علَّمَنَا النبيُّ (ﷺ) العنايةَ الفائقةَ باليتيم ورعايته جُسمانيًّا وعاطفيًّا والرَّحمة به، وترسيخَ حقوقه وتكريمه، فقد قرَّرَ الرسولُ الكريم (ﷺ) حقوقَه كاملةً قبل العالم بأربعة عشَر قرنًا، ومن أهمِّها: حقُّ الحياة، وحقُّ النَّسب لأبيه لا إلى غيره، قال تعالى: (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ..) (الأحزاب:٥)، وحقُّ الرضاعة، وحقُّ النَّفقة، وحقُّ الوَلاية على الحضانة والنَّفس والمال، وحقُّ الرحمة.. والتحذيرُ من إيذائه بأيِّ صورةٍ من صور الإيذاء، سواء أكان حِسيًّا أم معنويًّا.. مباشرًا أم غير مباشرٍ.. بالقول أم بالفعل.. بصريح العبارة أم بكِنايتها.. يقول تعالى: (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) (الضحى:٩)، وقد أحاطَ اللهُ (سبحانه وتعالى) أموالَ اليتيم بأسوارِ حفظِه ورعايته وحراسته، وجعلَ لها حِمًى مقدَّسًا، فقال: (إِنَّ

(١٧) أخرجه الإمامان: أبو داود، وابن ماجه.

(١٨) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(١٩) من دخل دار أبي سفيان فهو آمن

https://www.islamweb.net/ar/article/١٨٤٥٢٥

(٢٠) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(٢١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) (النساء: ١٠)، ويا لَه من إنذارٍ شديد تنخَلعُ له القلوبُ الحيَّة!. كما جعل النبيُّ– أيضًا– رعايةَ اليتيم من موجِبات الجنة.. فعنْ سَهل بن سعدٍ الساعدي (رضيَ اللهُ عَنْه) قال (صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ): (أنا وكافِلُ اليَتيمِ في الجَنَّةِ هَكَذا وأَشارَ بالسَّبَّابَةِ والوُسْطَى، وفَرَّجَ بيْنَهُما شيئًا)[٢٢] في إشارةٍ وبِشارة منه أنَّ كافلَ اليتيم سيكون مُلاصقًا له في الجنَّة. وكفالةُ اليتيم تعني القيامَ بشؤونه من التربية، والتعليم، والتوجيه، والنُّصح، والإرشاد، والتَّهذيب، والقيام بما يحتاجُه من حاجات تتعلق بحياته الشَّخصية من المأكل والمشربِ والملبس والعلاج، وتأمينه على جسده، وعقله، ونفسه، وعرْضه، وماله، وعقيدته، ودينه، وأخلاقه. والمسلمُ مأمورٌ أن يُعطي اليتيمَ مما أعطاه اللهُ ويُعَلّمه مما علَّمَه الله، ويجود عليه بخبراتِه الحياتية الأمينة؛ لأنه ضعيفٌ وعديمُ الخبرة والدِّراية، ومن ثمَّ في حاجةٍ إلى دَيْمومة التوجيه.

هذا هو سيدُنا محمد رسول الله، رسولُ الإنسانية، رحمةُ الله للعالمين. وهذه قبساتٌ من صالح الأخلاقِ التي جاء ليتمِّمَها. وسيظلُّ هذا الرسولُ العظيم نبراسًا ونورًا للعالمين على الدوام.

***

اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا الصِّيَامَ وَالقِيَامَ وَصَالِحَ الأَعْمَالِ يَا رَبَّ العَالَمِينَ... اللَّهُمَّ أَدْخِلْ عَلَيْكُمْ وَعَلَى أَهْلِيكُمْ وَأَنْجَالِكُمْ وَأَحْفَادِكُمْ وَذَرَارِيكُمْ أَجْمَعِينَ الفَرَحَ وَالسُّرُورَ وَالحُبُورَ، وَالسَّعَادَةَ العَامَّةَ التَّامَّةَ الكَامِلَةَ الشَّامِلَةَ الدَّائِمَةَ المُسْتَقِرَّةَ المُسْتَمِرَّةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ... نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ لَنَا وَلِأَوْلَادِنَا، وَلِمُجْتَمَعِنَا وَلِشَعْبِنَا.

اللَّهُمَّ احْفَظْ مِصْرَ شَرْقَهَا وَغَرْبَهَا، شِمَالَهَا وَجَنوبَهَا، طُولَهَا وَعَرْضَهَا وَعُمْقَهَا، بِحارَهَا وَسَمَاءَهَا وَنِيلَهَا، وَوَفِّقْ يا رَبَّنَا قِيادَتَهَا وَجَيْشَهَا وَأَمْنَهَا وَأَزْهَرَهَا الشَّرِيفَ، وَعُلَمَاءَهَا، وَاحْفَظْ شَعْبَهَا، وَبِلادَ المُحِبِّينَ يا رَبَّ العالَمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ على سَيِّدِنا وَمَوْلانا مُحَمَّدٍ، وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

خادم الجناب النبوي

خادم الدعوة والدعاة د/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

واتس آب: ٠١١٢٢٢٢٥١١٥ بريد إلكتروني: drsoliman٥٥٥٥٥@gmail.com

متابعة الصفحة الرسمية، وعنوانها: (الدكتور أحمد علي سليمان)؛ يضمن لك كل جديد /https: //www.facebook.com/drahmedalisoliman

(٢٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.